

البداية والنهاية

الأشعري على الصلاة والثغر وحذيفة بن اليمان على الفداء فأجاز ذلك أهل الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك فأمضاه وسره ذلك فيما أظهره ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ثم لما ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلها ثم ولاء معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين وعزل مروان فأقام سبعة ثم رد مروان وقال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال بعثني زياد في شغل إلى معاوية فلما فرغت من أموري قلت يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك فسكت ساعة ثم قال يكون بين جماعة إما كريم قريش سعيد بن العاص وإما فتى قريش حياء ودهاء وسخاء عبد الله بن عامر وإما الحسن بن علي فرجل سيد كريم وإما القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله مروان بن الحكم وأما رجل فقيه عبد الله بن عمر وإما رجل يتردد الشريعة مع دواهي السباع ويروغ زوغان الثعلب فعبد الله بن الزبير وروينا أنه استسقى يوما في بعض طرق المدينة فأخرج له رجل من دار ماء فشرب ثم بعد حين رأى ذلك يعرض داره للبيع فسأل عنه لم يبيع داره فقالوا عليه دين أربعة آلاف دينار فبعث إلى غريمه فقال هي لك على وأرسل إلى صاحب الدار فقال استمتع بدارك وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة فقالت له امرأته إن أميرنا هذا يوصف بكرم فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشيء فقال ويحك لا تحلفي وجهي فالتحت عليه في ذلك فجاء فجلس إليه فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالسا في مكانه فقال له سعيد أظن جلوسك لحاجة فسكت الرجل فقال سعيد لغلماناه انصرفوا قم قال له سعيد لم يبق غيري وغيرك فسكت فأطفأ المصباح ثم قال له رحمك الله لست ترى وجهي فاذا كنتك فقال أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة فأحببت ذكرها لك فاستحييت فقال له إذا أصبحت فالحق وكيلى فلانا فلما أصبح الرجل لقي الوكيل فقال له الوكيل إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك فقال ما عندي من يحمله ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال حملتيني على بذل وجهي للأمير فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله وما أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام ولو كان مالا لما احتاج إلى من يحمله ولأعطانيه فقالت له المرأة فمهما أعطاك فانه يقوتنا فخذ فرجع الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل إنى أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك فذهب الرجل فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فقال للغلمان ضعوا ما معكم وانصرفوا فقالوا إن الأمير قد أطلقنا لك فانه

